الفصل الثالث :

غزوات رسول الله ﷺ

أسباب غزوات رسول الله ﷺ :

من يدرس حياة النبي ﷺ يرى بجلاء أنه لم يكن البادئ بالقتال في غزواته ، وإنما كان مدافعاً وصاداً لعدوان ، ما وجد سبيلاً لحقن الدماء إلا وسلكها ، ولا دعوة لسلم إلا ولبَّاها ، هذا كله في غير ضعف أو ذلة .

غزوة بدر الكبرى :

خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ومعه المؤمنون بغية تعويض شيء من أموالهم التي استولى عليها مشركو قريش لما علموا بأن قافلة كانت مع أبي سفيان زعيم قريش في طريقها إلى مكة قادمة من الشام ، بلغ أبا سفيان الخبر وأرسل إلى مكة يستغيث بهم، ونجا أبو سفيان بالقافلة ، وأبت قريش بعد مجيئها إلا أن تأتي بدر بكبرها وصلفها معلنة الحرب على المؤمنين ، ولم يكن من خيار أمام النبي ﷺ أمام هذا التجبر وإعلان الحرب من جهة قريش سوى أن يجابه هؤلاء المغرورين ، وكره بعض المؤمنين الحرب لأنها جاءت على غير استعداد منهم لها وإنما أكرهوا عليها .

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال ٥] لم تكن الكراهية منهم رفضاً أو عصياناً وإنما لأن كفتي الموازنة بين الفريقين بالمقاييس البشرية وحسب خبرات القتال تقول كيف يدخلون حرباً طرفاها المشركون وعدتهم قرابة الألف بخيلهم وسلاحهم وإبلهم وطعامهم

والمؤمنون ثلاثمائة ليس فيهم إلا فرسان ، لكن الله أراد أن يُعْلمهم بأن النصر من عند الله ينصر من يشاء ، لم يكن المؤمنون مريدين قتالاً وإنما كانوا كارهين لها ، وسياق الآية التالية يبين ذلك ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفال٥ ، ٦] وتأمل معي أيها القارئ في كلمة يساقون أى أن هناك من يدفع من الخلف ليسيروا ويتحركوا إلى حيث يريد على كره ، ويقول أيضاً عن عدم رغبتهم في القتال : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال ٧] .

وانتهت المعركة بنصر الله للمؤمنين حيث استشهد من الصحابة أربعة عشر رجلاً وقُتِل من كفار قريش سبعون رجلاً وأسِر مثلهم.

غزوة بني قينقاع :

جمع النبي ﷺ يهود بني قينقاع في السوق ووعظهم وحذرهم غضب الله ودعاهم للإسلام قائلاً لهم : « فإنكم قد عرفتم من كتبكم أني النبي الخاتم الذي بشَّرت به رسلكم وأنبياؤكم وأمروكم باتباعه ساعة ظهوره » فقالوا له : يا محمد إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ، وكان سبب الحرب أن امرأة من العرب قدمت بحلي لها لتبيعه في سوق بني قينقاع فجلست إلى صائغ يهودي بالسوق ، فجعل اليهود يراودونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، وهي لا تشعر به فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت المرأة فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فحملت اليهود على المسلم فقتلوه واستنجد أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه.

غزوة أحد :

هي الغزوة الكبرى الثانية بعد غزوة بدر ، اجتمعت قريش ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وخرجت بغيظها وحدِّها وحديدها في جيش قوامه ثلاثة

آلاف فارس ومائتي فرس ومعهم نساؤهم تحثهم على الحرب حتى لا يفروا ونزلوا مقابل المدينة كي يقضوا كما يظنون على الإسلام وأهله في عقر داره ، علم المؤمنون بقدومهم واستشار النبيﷺ أصحابه : هل يقاتلونهم داخل المدينة - وهذا هو رأي النبيﷺ - أو يخرجون لهم - وكان هذا رأي الشباب الذين تحمسوا له وألجأوا رسول الله ﷺ له - فخرجوا لملاقاتهم وقد انخزل عن النبي ﷺ رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول بثلاثمائة مقاتل ، هم ثلث الجيش ، وحدث ما حدث من مخالفة أمر رسول الله ﷺ في خطته القتالية وترك الرماة مواقعهم وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو حتى خلص إلى رسول الله ﷺ فكسرت رباعيته وشُجَّ وجهه ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه ووقع في حفرة وكَلِمَتْ شفتاه فجعل النبي ﷺ يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله ؟ وظل دمه ينزف ﷺ وتأتي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تغسله بالماء فما كان من الدم إلا أنه قد زاد فأتت بقطعة من الحصير وأحرقتها وأخذت التراب الباقي من الحريق وضمدت به الجرح فأمسك الدم.

هذه هي غزوة أحد هوجم فيها المسلمون في دارهم ومدينتهم من قِبَل عدو مناه أن يستأصلهم ، بل قد صرح بذلك زعيمهم أبو سفيان عندما خاطب معبداً ولم يكن يدري بإسلامه حيث قال له : والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم ، عدو ليس له عهد ولا ذمة ولا رحمة ولا أخلاق حرب ، فماذا عساه أن يفعل أي حاكم على وجه الأرض سوى أن يدافع وأن يقاتل ، بل إن ترك القتال لهو عين الخيانة لشعبه ورعيته، ولهو عين الجبن والخور المذموم ، لا يستحق أن يبقى الحاكم بعده في كرسي حكمه ساعة واحدة ، فإذا لم يكن رجلاً في وقت الأزمة ونزول الكربة ففي أي وقت يُعرف الرجال؟

غزوة بني النضير :

كان بين رسول الله ﷺ وبين اليهود حلف ، وحدث أن قتل عمرو بن أمية الضمري رجلين من بني عامر ، فذهب رسول اللهﷺ إلى اليهود بما بينه وبينهم من

حلف يستعين بهم على دية القتيل ، فقالوا له : نعم وجلس النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه ، فاجتمع اليهود وتشاوروا ، وقالوا : من رجل يلقي على محمد هذه الرحى فيقتله؟ فانبعث أشقاها عمرو بن جحاش ، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله يعلمه بما هموا به ، فنهض رسول الله ﷺ من وقته راجعاً إلى المدينة ، ثم تجهز وخرج بنفسه لحربهم.

هذه هي الخيانة والغدر ونقض العهد من قبلهم جميعاً ، لم يقم بها فرد أو اثنان أومجموعة من يهود حتى تكون مسؤولية الجريمة محصورة فيهم ، وكم حاولوا قتل النبيﷺ من قبل ومن بعد والعفو عن الجميع ديدنه والتسامح شعاره والأمثلة كثيرة في هذا الباب ، فقط أذكر مثالاً واحداً بعد هذه الغزوة بشهر وبعض شهر ، حيث عرض لرسول الله ﷺ رجل من قبيلة محارب وقد اتفقت مع بني ثعلبة على حرب رسول اللهﷺ ، هذا الرجل الذي يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا : بلى وكيف تقتله؟ قال : أفتك به فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا . قال « نعم » فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فيكبته الله ، ثم قال يا محمد : أما تخافني ؟ قال : لا ، ما أخاف منك قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : « بل يمنعني الله منـك » ثم عمد إلى سيف رسول اللهﷺ فرده عليه » رواه البخاري من حديث جابر.

إنه اجتماع عام آثم واتفاق بين الجميع غادر على نقض الحلف واغتيال النبيﷺ وهو بينهم قد جاء واثقاً آمناً وفي دورهم ، فأي سلم وأي أمان وقد خانوه من غير داع ولا سبب سوى الكراهية العمياء والحقد الدفين والحسد الكامن على نبي الرحمةﷺ ؟

غزوة بني المصطلق :

أعلنت بنو المصطلق عن موقفها العدائي بإسهامهم ضمن الأحابيش في جيش قريش في غزوة أحد ، وقد تجرأت على المسلمين بعد هذه الغزوة كما تجرأت القبائل

الأخرى المحيطة بالمدينة وبدأت تتهيأ لقتال المسلمين بزعامة الحارث بن أبي ضرار بجمع السلاح والرجال وتأليب القبائل المجاورة وشحنها على قتال المسلمين . وأراد النبيﷺ أن يستطلع الخبر ليتأكد من ذلك فأرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي للاطلاع على أحوالهم ، فأظهر أنه جاء لعونهم وعرف نيتهم في الهجوم على المدينة فعاد وأخبر رسول الله ﷺ بما يبيتون وما هم عليه عازمون ، فخرج إليهم رسول اللهﷺ قبل أن يباغتوه في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة من الهجرة وأمكنه الله منهم دون مقاومة تذكر ، وأمكن الله رسوله منهم فعاد بهم أسارى وكانوا قرابة سبعمائة نفس ، وما أن عاد بهم رسول الله ﷺ إلى المدينة حتى جاءته جويرية بنت الحارث زعيمهم تستعين برسول الله ﷺ في عتقها من ثابت بن قيس بن شماس فقضى عنها رسول الله ﷺ وتزوجها ، فلما علم الناس ذلك أطلقوا سائر السبي وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها .

وجاء الحارث بن أبي ضرار أبوها إلى رسول الله ﷺ وطلب من الرسول الأعظم أن يخلي سبيلها فأذن له أن يخيرها ، وما عساها أن تختار سوى قومها لو كان زوجها غير محمد ﷺ لا سيما ولم تعاشره إلا أياماً معدودات وهي من هي وأبوها من هو ، لكنه النبي الذي جُمعت له مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ظاهراً وباطناً ، فما كان منها إلا أن اختارت البقاء مع رسول الله ﷺ وكان من أثر ذلك الزواج المبارك والعفو العام والمنّ الجميل عليهم إلا أن دخلوا في دين الله حُباً لهذا الدين الذي رأوا من نبيه العفو والكرم والرحمة ومن أصحابه السمع والطاعة والانقياد والتقدير.

غزوة الأحزاب :

يكفي القارئ لمعرفة أسباب غزوة الأحزاب أن يقرأ الآيات التي أُنزلت فيها في السورة التي سميت باسمها ألا وهي سورة الأحزاب ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَآ

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب من٩-١١].

كانت غزوة الأحزاب من أخطر الغزوات التي واجهت المسلمين فلم يجتمع على حرب الإسلام وأهله جيش كما اجتمع ذلك الجيش حتى أن السورة سميت باسم ذلك الحشد والتجمع.

خطط له اليهود وبدأوا يحشدون ويجمعون الأحزاب على قتال المسلمين ونجحوا في ذلك ، خرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة في بني مرة ، ومسعود بن رخيلة في أشجع ، وطليحة بن خويلد في بني أسد ، وقد تولى قيادة الجموع أبو سفيان وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل بينما كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ، وكان قصد الجموع مهاجمة المدينة واحتلالها ومن ثم القضاء على من فيها وأشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق وسرعان ما عمل فيه المسلمون بعد موافقة رسول الله ﷺ عليه وظل العمل في الخندق عشرين يوماً وليلة ، وكان ما كان من أمر الله بوقوع الخلاف بين اليهود والأحزاب وإرسال الله للريح الشديدة وإلقاء الرعب في نفوسهم حتى ردهم الله خائبين من حيث أتوا وكفى الله المؤمنين القتال.

غزوة بني قريظة :

من خلال قراءتنا لسورة الأحزاب نعرف أيضاً أسباب غزوة بني قريظة ، فقد قال الله تعالى عنهم بأنهم هم الذين ظاهروا المشركين على حرب رسول الله ﷺ ، حيث قال تعالى في اليهود المؤلبين على حرب النبي ﷺ : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ [الأحزاب ٢٦].

وبدايتها أن حيي بن أخطب انطلق إلى بني قريظة ، فدنا من حصنهم فأبى كعب ابن أسد أن يفتح له ، فلم يزل يكلمه حتى فتح له فلما دخل عليه قال : لقد جئتك

بعز الدهر ، جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد . قال كعب : جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه أي سحاب رقيق لا ماء فيه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ودخل مع المشركين في محاربته ، فسُرَّ بذلك المشركون ، وشرط كعب على حيي أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل في حصنه ، فيصيبه ما أصابه فأجابه إلى ذلك ووفَّى له به.

وبلغ رسول الله ﷺ خبر بني قريظة ونقضهم للعهد فبعث إليهم السعدين وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أو قد نقضوه؟ فلما دنوا منهم، فوجدوهم على أخبث ما يكون ، وجاهروهم بالسب والعداوة ونالوا من رسول الله ﷺ فانصرفوا عنهم ولحنوا إلى رسول الله ﷺ لحناً يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين » وكان من أمر الله أن أمكن الله رسوله منهم وأظفره بهم جزاء خيانتهم .

صلح الحديبية :

خرج رسول الله ﷺ بأصحابه يريد العمرة ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بُسر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك قد خرجوا معهم العزل المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لاتدخلها -أي مكة- عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .

وسار النبي ﷺ حتى إذا بلغ ثنية المرار أتاه بديل بن ورقاء في مجموعة رجال من خزاعة فكلموه ما الذي جاء بهم فأخبرهم النبي ﷺ أنه ما جاء يريد حرباً وإنما جاء

زائراً للبيت ومعظماً لحرمته، وأبت قريش وبدأت ترسل وفودها للتفاوض حتى إذا أرسلت قريش الحليس بن علقمة سيد الأحابيش فلما رآه رسول السلام والرحمة قال: « إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه » أي لكي يتيقن أن النبي ﷺ ما جاء إلا لزيارة البيت وقد جاء بهذه الأنعام هدياً له لا لقتال .

فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك فقالوا له :اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك . فغضب الحليس عند ذلك وقال : يامعشر قريش والله ما على هذا حالفناكم وما على هذا عاقدناكم ، أيُصَد عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا له : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى.

إن هذا التصرف العظيم من النبيﷺ يوضح بجلاء لا لبس فيه رسالة محمد بن عبد الله ﷺ لا تستعلي بقوة ولا تبدأ بقتال بل يبرهن ويظهر لعدو مستكبر متغطرس أنه ما جاء إلا عابداً وللبيت زائراً ، إنه ليس كغيره من الذين تستفزهم مواقف الغطرسة ولا تستحثهم القوة لمقابلة الصلف بمثله ، ما أيسر أن يأخذ قرار الحرب ويدخلها عنوة ، وأمام العرب جميعاً لن يعاب لأنه الآن مصدود عن البيت والبيت مشاع لكل ناسك وزائر ، ما انتهبها فرصة لقتال ولا مبرراً لنزال ، بل حلم ففاوض وصابر وحاور مع مبعوثي قريش الذين أتوه تباعاً ومن بينهم عروة بن مسعود الثقفي فكلَّمه النبيﷺ كما كلم أصحابه المبعوثين من قبل وأكد له أنه ما جاء لحرب أو قتال.

لقد بالغ النبيﷺ في سد جميع الأبواب التي قد تفضي إلى الحرب ومنع نشوبها فقد بعثت قريش أربعين رجلاً أو خمسين وأمروهم أن يطوفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخِذوا أخذاً وأتي بهم جميعاً أسارى بين يدي رسول اللهﷺ فخلى سبيلهم.

لقد قابل كبر قريش وبغيها وعدوانها بعفو القادر وحلم القوي الصابر عساه أن يطفيء بماء عفوه نار ضلالهم.

وجاء آخر المفاوضين سهيل بن عمرو برسالة من قريش ، مفادها أنه لابد للرسولﷺ أن يرجع هذا العام فلا يزور البيت ولا يدخل مكة ، وما أن جاء سهيل وأتى النبيﷺ إلا وقد قال من لا ينطق عن الهوىﷺ : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا إلينا هذا الرجل » .

كان من ضمن شروط الصلح على أنه من أتى الرسولﷺ من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع الرسولﷺ لم يردوه عليه وأنه لا خيانة ولا سرقة ، وبينما الكتاب يُكتب بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل وهو ابن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول اللهﷺ فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال : يا محمد قد لجَّتْ القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت فجعل يأخذ بتلابيبه ويجره ليرده إلى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ فزاد الناس ذلك هماً إلى همهم الذي هم فيه.

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدرهم » .

بهذه الأخلاق وتلك المبادئ عرف الإسلام وتسرب إلى أفئدة الملايين ، وربي المسلمون على ألا تتحكم بهم الأهواء ولا تنزع بهم شهوات النفس وحظوظ أمراضها ، فهل وعى ذلك شبابنا؟ لا يخالجني شك في أن الذي فعله النبيﷺ لو فعله أحد سواه في ظروف تملي عليه أن يعاهد عدوه على بعض من شروط صلح الحديبية لكُفِّر أو بُدِّع أو فُسِّق من قبل البعض ، هؤلاء الذين لم يفرقوا ما بين مساحتين مساحة المنصوص عليه من الأحكام الشرعية والتي لا يجوز لأحد خلافها وبين مساحة الاجتهاد المسموح بها وخاصة في فقه المعاملات أو تسيير شئون الدولة

في الداخل والخارج مما يدخل في السياسة الشرعية التي تُحكم بقواعد عامة وأدلة كلية تتسع تفصيلاتها من عصر لعصر ومن مكان لمكان وميزانها المصالح والمفاسد.

غزوة خيبر :

سبب غزوة خيبر أنهم كانوا مظاهرين للمشركين على حرب رسول اللهﷺ فسار إليهم بعد صلح الحديبية وأمكنه الله من الحصن وفتحه ، وفي هذه الغزوة مر بلال رضي الله عنه بامرأتين على بعض القتلى فصاحت إحداهما وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فقال النبيﷺ لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : « أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟ »

وبعد هذه الغزوة أهدت له امرأة يهودية تسمى زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مَصْلية وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: «إن هذا اللحم ليخبرني أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك؟ فقالت له بدهاء وبخبث قلت : إن كنت ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فيُخبر فتجاوز عنها رسول اللهﷺ ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

غزوة الفتح :

كان من شروط صلح الحديبية أن من شاء أن يدخل من العرب في حلف رسول الله ﷺ دخل ، ومن شاء أن يدخل في حلف قريش دخل ، فدخلت خزاعة في عقد النبيﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش فلما كان صلح الحديبية اغتنمت بنو بكر الفرصة وعدوا على خزاعة حلفاء رسول اللهﷺ وأمدتهم قريش بالسلاح وقاتل معهم من قريش بالليل سراً مستخفياً . فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين الرسول ﷺ من العهد والميثاق خرج عمرو بن سالم

الخزاعي حتى قدم على رسول الله وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس واستنصره بأبيات من الشعر يذكر النبيﷺ بالحلف ، فقال رسول الله ﷺ « نصرت يا عمرو بن سالم »

أعلم رسول الله ﷺ الناس أنه ذاهب إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » ومضى رسول اللهﷺ في سفره وعزمه في حوالي عشرة آلاف من المسلمين . ولما نزل رسول اللهﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب : واصباح قريش والله لئن دخل رسول اللهﷺ عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

يا لعظمتك أيها النبي الكريم أي خلق هذا وأي عفو وصفح هذا ، ومع من؟ مع أبي سفيان قائد قريش زعيمها وسائسها الذي حفل تاريخه بالحرب على الإسلام والاعتداء على المسلمين ، كم جيَّش من جيوش وكم سقط من شهداء إما تحت التعذيب بمكة وإما بحرب ظالمة يقودها ، إنه الآن يركب خلف العباس بن عبدالمطلب عم النبيﷺ مستخفياً خلفه ، فلئن أبصره أحد ليقتلنه فهو بغية كل مؤمن حتى يشفي صدره منه جزاء ما قد سلف ، ومرت البغلة بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من هذا؟ وقام عمر إلى العباس رضي الله عنه- فأبصر أبا سفيان خلفه على الدابة فقال عمر : أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، وتسابق العباس وعمر إلى رسول الله ﷺ ، العباس ليحقن دم أبي سفيان وعمر ليهريقه فقال عمر : يا رسول الله ﷺ هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلأضرب عنقه . قال العباس : يا رسول الله إني قد أجرتُه ، ثم جلس إلى رسول الله ﷺ وتجادل العباس وعمر رضي الله عنهما حتى قال النبي ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحتَ فأتني به » .

غدا العباس بأبي سفيان على النبيﷺ فلما رآه قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أن لاإله إلا الله؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد...وأسلم

أبوسفيان ثم قال العباس : يا رسول الله ﷺ إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » ، كان من أمراء رسول الله ﷺ في هذه الغزوة سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان على المجنبة اليسرى فذكروا أن سعداً حين وجَّه داخلاً قـال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة .

فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يارسول الله اسمع ما قال سعد ، ما نأمن أن تكون له في قريش صولة ، فقال رسول اللهﷺ لعلي رضي الله عنه : « أدركه فخذ الراية فكُنْ أنت تدخل بها » .

علا رسول الله ﷺ ثنية كداء ورأى جماعات منهزمة متفرقة من المشركين ، فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال؟ فقال المهاجرون : نظن أن خالداً قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن بد أن يقاتل من قاتله ، وما كان يا رسول الله ليعصيك ولا ليخالف أمرك.

وقال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد : « لم قاتلـتَ وقد نهيت عن القتال ؟ » قال : هم بدأونا ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا النبل وقد كففتُ يدي ما استطعت فقال رسول اللهﷺ : « قضاء الله خير » .

كان هناك مجموعة من أشد الناس عداء للإسلام وأكثرهم تحريضاً عليه وإيذاء لرسول اللهﷺ وكان قد استثناهم من العفو وتحريم القتال لكنه ﷺ طلب منه العفو عن بعضهم فعفا عنهم .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

كان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد مشركاً ففر يومئذ إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه وكان أخاه في الرضاعة فغيَّبه حتى أتى به رسول اللهﷺ واستأمن له وصمت رسول الله ﷺ ولم يعطه الأمان ..فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت يا رسول الله أي لقتله بالإشارة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن النبي لايقتل بالإشارة » وفي رواية : « إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة أعين »

ومنهم جارية مغنية كانت تغني بهجاء رسول الله ﷺ فاستؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمَّنها.

ومنهم سارة مولاة لبني عبد المطلب وعكرمة بن أبي جهل وكانت تؤذي رسول الله ﷺ فاستؤمن لها فأمَّنها .

وفرَّ يومئذ صفوان بن أمية عامداً للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامداً لليمن ، فأقبل عمير بن وهب بن خلف إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمِّنه صلى الله عليك ، قد أمَّنتَ الأحمر والأسود.

فقال رسول الله ﷺ : « أدرك ابن عمك فهو آمن » قال : يا رسول الله ﷺ أعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة ، فخرج في إثره عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به ، قال : ويلك أغرب عني فلا تكلمني.

قال : أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك.

قال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك أمنتني . قال : صدق . قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين.

قال : أنت بالخيار أربعة أشهر.

ومنهم عكرمة بن أبي جهل :

فقد أقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فقالت : يا رسول الله آمن زوجي وأذن لي في طلبه ، فأذن له وأمَّنه فأدركته ببعض تهامة وقيل باليمن فأقبل معها وأسلم ، فلما رآه رسول الله ﷺ وثب إليه فرحاً وما عليه رداء.

وهذه أم هانئ أخت علي بن أبي طالب تقول : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم فدخل عليَّ أخي علي بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ثم انصرف إليَّ فقال : « مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال « قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ وأمنا من أمَّنت فلا يقتلهم » .

ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ليستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، .....يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات ١٣] .

ثم قال : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل فيكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم .

ثم قال : اذهبوا فأنت الطلقاء .

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

وأراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قَتْلَ النبي ﷺ وهو بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله قال : ماذا كنت تحدِّث نفسك ؟ فقال : لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليَّ منه .

قال فضالة : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت : هَلُمّ إلى الحَدِيث . فقلتُ :لا … يأبـــى عليـكِ اللهُ والإســلام
لَـــوْ مــا رأيــتِ مُحمــداً وقَبِيلـه … بالفتــح يــوم تُكسَّر الأصنَامُ
لَـرأيــتِ دِيــنَ اللهِ أضْحَــى بَيِّننـا … والشــرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ إظْلَامُ

غزوة حنين :

بين مكة والطائف حيث وادي حنين تجمع الكفار الذين ساءهم فتح المسلمين لمكة ، فأرادوا أن يقوموا بهجوم مضاد يذهب بهاء الانتصار ويضيع قيمته فاجتمعت قبائل هوازن وثقيف واختاروا مالك بن عوف ليكون قائدهم في هذه المعركة واستطاع أن يجمع أربعة آلاف مقاتل وانضم إليهم بعض الأعراب المحيطين بهم اختفى الكفار في الشعاب وتحت الأشجار وباغتوا المسلمين الذين لم يفطنوا لهم فانهزموا ولم يبق إلا النبيﷺ في تسعة نفر ، وفاء الناس لميدان القتال بعد نداء العباس عم النبيﷺ على الناس يستصرخهم : يا معشر الأنصار يا أهل سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة وكان النبيﷺ يدفع بغلته للأمام ويدعو المسلمين للثبات ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.فكانت الغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين وفر المشركون.

وبعد أن قُسِّمت الغنائم جاءت وفود هوازن إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة أتوا يرغبون في فضله وكرمه بعد أن حداهم إليه علمهم بما اشتمل عليه محمد بن عبدالله ﷺ من مكارم الأخلاق ونبل المعاني أتوا إلى أكرم البشر وإمام الأسخياء ، أتت قبائل هوازن فقالوا له : يا محمد ، إنا أصل وعشيرة ، فمُنّ علينا مَنَّ الله عليك فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك.

فقال : « اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم » قالوا : خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، نختار أبناءنا.

فقال : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، فإذا صليتم الظهر فقولوا : إنا نستشفع برسول اللهﷺ على المؤمنين وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ ، في نسائنا وأبنائنـــا » .

obeikandl.com

ففعلوا ، فقال رسول اللهﷺ : « فأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » وتتابع المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول اللهﷺ ، فقال رسول اللهﷺ : « يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم .. » .

وحاصر رسول الله ﷺ بعدها الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ثم قفل عنهم راجعاً ودعا حين ركب قائلاً : « اللهم اهدهم واكْفِنَا مؤنتهم » فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا.

غزوة تبوك :

بلغ النبيﷺ أن الروم قد أعدوا جيشاً لمحاربة المسلمين وأنه قد انضم إليهم نصارى العرب وقد صاروا إلى البلقاء ، وقد بلغ تعدادهم أربعين ألف نفس ، وكان من شأن رسول الله ﷺ في غزواته كلها أنه لا يخبر بوجهته إلى مكانها سوى هذه الغزوة فإنه أعلم أصحابه بوجهته . وعندما وصل النبي ﷺ إلى تبوك بلغه نبأ رجوع جيش الروم عن الغزو وكفى الله المؤمنين القتال فرجع النبيﷺ بأصحابه ولم يكن ثمة من قتال .

عدد قتلى المعارك بين المسلمين والمشركين أيام النبي ﷺ : من يسمع ما يقوله البعض عن فرية انتشار الإسلام بالسيف يعتقد أن أنهاراً من الدماء قد سالت وأن ألوفاً أو عشرات الألوف أو ما يزيد من النفوس قد أزهقت ، ومع تكذيب التاريخ لهذا الافتراء أحب أن أذكر عدد القتلى من الجانبين جانب المشركين وجانب المسلمين أيام النبيﷺ والتي كانت غزواته كلها دفاعاً ورداً لاعتداء ، لسوف يفاجأ القارئ عندما يعلم أن عدد القتلى أثناء المعارك من المشركين هو مائتان وثلاثة ، أما عدد القتلى من المسلمين فقد كان مائة وثلاثة وثمانين قتيلاً .